

● اختلاف اللهجات العربية :

اللهجة فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية التى تنتمى إلى بيئة خاصة ، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً فى مجموعة من الظواهر اللغوية .

وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة ، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص ، فاللغة تشتمل على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها ، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

ويُعبرُ القدماء عما نسميه الآن باللهجة بكلمة « اللغة » كثيراً ، فيشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيئ ولغة هذيل ، وهم يريدون بذلك ما نعنيه نحن الآن بكلمة « اللهجة » وقد يُعبرون بكلمة « اللسان » وهو التعبير القرآنى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (١) .

والفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتى فى غالب الأحيان ، فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون فى « فزت » « فزد » ، كما يروى أن « الأجلح » وهو الأصلح ، ينطق بها « الأجله » عند بني سعد .

وتتشترك لهجات اللغة الواحدة فى الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها (٢) .

واللغة العربية هى لغة جزيرة العرب ،. ولكن القبائل العربية المتعددة كان لكل قبيلة منها منازلها ، ولها كيائها المستقل الذى يعزلها عن غيرها بما لها من

(١) إبراهيم : ٤

(٢) انظر كتاب « فى اللهجات العربية » للدكتور ابراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة

عادات وتقاليده تنمو وتتطور ، فأدى هذا إلى نشأة اللهجات العربية التي تتميز كل منها بصفات خاصة .

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف كثيراً من اللهجات ، فمن ذلك الكشكشة والكسكسة ، وهما تخصان ضمير المخاطبة ، إذ كان بعض تميم وأسد يلحقون بكاف المخاطبة شيئاً في الوقف ، وفي الوصل أحياناً ، فيقولون : رأيتكش وعليكش وبكش ، وكانت بعض قبائل ربيعة تلحق السين بدل الشين ، فتقول : رأيتكس وعليكس وبكس ، وكان منهم من يحذف الكاف ويضع مكانها الشين أو السين .

ومن ذلك العننة ، وهى فى تميم وبعض قيس وأسد ، إذ يجعلون الهمزة عيناً في بعض الكلمات ، فيلفظون « استعدى » بدلاً من « استأدى » ويلفظون « أعدى » بدلاً من « آدى »^(١) ، وكان هناك من يقول : « دأنى » عوضاً عن « دعنى » ، ومن يلفظ « لعل » : « لأن » بإبدال اللام أيضاً نوناً ، وقالوا بدلاً من « أن وإن » : « عن وعن » .

وتقرب من العننة الفحفة ، وكانت في هذيل ، إذ تبدل الحاء عيناً ، فيقولون فى « حتى » : « عتى » ، وهذه اللهجات جميعاً كانت تشيع فى بعض القبائل الشمالية المضربة ، ومثلها التضجع ، وهو الإمالة ، إذ كانت تميم وقيس وأسد تميل إلى إمالة الألف ، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يميلون ...

وقد نسب اللغويون إلى قبائل مضربة وأخرى قحطانية ما سموه الاستنطاء ، إذ كانت قبائل هذيل وقيس والأزد والأنصار فى يشرب تبدل العين نوناً فى مثل « أعطى » فتقول : « أنطى » ...

وهناك لهجات نسبها اللغويون إلى القحطانيين ، من ذلك التثنية فى قضاة وبهراء ، إذ يكسرون الفعل المضارع فيقولون : « تعلمون وتكتبون وتنجحون » .

(١) آدى فلان إيداء : قوى ، وآدى للأمر : أخذ أدواته واستعد له ، وآدى فلاناً على كذا : قرأه عليه وأعانه (المعجم الوسيط ١ / ١٠) .

ومن ذلك العجعة فى قضاة ، إذ يجعلون الياء المشددة جيماً ، فيقولون : « تميمج » فى « تميمى » .

ونسب الرواة إلى قبيلة كلب اليمنية ما سموه الوهم ، وهو كسر الهاء فى ضمير الغائبين وإن لم يكن قبلها ياء ولا كسرة فيقولون : « منهم وعنهم وبينهم » . واشتهرت حمير وأهل اليمن وبعض عشائر طيئ بالطمطمانية ، وهى إبدال لام التعريف ميماً ، فيقولون فى « السهم والبر والصيام » : « امسهم وامبر وامصيام » ، فيعرفون بالألف والميم .

وُنُسب إلى بعض الحميريين أنهم كانوا يجعلون السين تاء فى بعض الكلمات ، فيقولون : بـ « النات » بدل « الناس » .

وكانت هناك فروق بين التميميين والحجازيين ، فكان التميميون يدغمون الحرف الثانى فى الثالث فى أمر مثل « رد » ، بينما كان يفك الحجازيون الإدغام فيقولون : « اردد » ، وما اشتهر بينهما من فروق إهمال « ما » عند التميميين فى نحو : ما زيد قائم ، وإعمالها عند الحجازيين فيقولون : ما زيد قائماً ، ومن ذلك أيضاً أن الحجازيين كانوا يجرون « هَلُمَّ » مجرى أسماء الأفعال مثل « صه » فيلزمونها طريقاً واحداً فى مخاطبة المفرد والمفردة والاثنتين والاثنتين والجماعتين ، فيقولون : هَلُمَّ يارجل ، وهَلُمَّ يا امرأة ، وهَلُمَّ يارجلان ، وهَلُمَّ يا امرأتان ، وهَلُمَّ يارجال ، وهَلُمَّ يانساء ، أما التميميون فكانوا يجرونها مجرى الأفعال ، فيقولون : هلم وهلمى وهلما وهلموا وهلمن يانسوة ، وبلغت الحجاز نزل القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ (١) .

وتلك اللهجات صار منها ما هو مقبول وحُجَّة ، ومنها ما تدنى عن هذا المستوى وهجره الذوق العربى .

(١) انظر كتاب « العصر الجاهلى » ص ١٢١ - ١٣١ - ط . دار المعارف بمصر - والآية من

سورة الأحزاب : ١٨

قال ابن جنى ^(١) : « باب اختلاف اللُّغات وكلها حُجَّة » اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ، ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لُغة التميميين فى ترك أعمال « ما » يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يُؤخذ به ، ويُخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد إحدى اللُّغتين بصاحبتهما ، لأنها ليست أحق بذلك من رسلتهما ، لكن غاية ما لك فى ذلك أن تتخير إحداهما ، فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنساً بها ، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا ، أو لا ترى إلى قول النبى ﷺ : « نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ » .

هذا حكم اللُّغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالتراسلتين .

فأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياساً ...

حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن ^(٢) ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال :

ارتفعت قریش فى الفصاحة عن عننة تميم ^(٣) ، وكشكشة ربيعة ^(٤) ،

(١) عثمان بن جنى الموصلى أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو ، من كتبه « المحتسب فى شواذ القراءات » ، و « الخصائص فى اللُّغة » - توفى سنة ٣٩٢ هـ (وفیات الأعيان ٣ / ٢٤٦) .

(٢) أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم ، وهو من القراء ، وكان راوية ثعلب ، توفى سنة ٣٥٥ هـ ، ويروى ابن جنى عنه أخبار ثعلب وعلمه (بغية الوعاة ص ٣٦) .

(٣) عننة تميم ، ينطقون الهمزة عيناً فيقولون فى « أن » : « عن » كما سبق .

(٤) كشكشة ربيعة : يجعلون الشين مكان الكاف فى خطاب المؤنث ، فيقولون : « عليك » : « عليكش » أو يزدون بعد الكاف شيئاً فيقولون : « عليكش » فى الوقف .

وكسكسة هوازن ^(١) ، وتضجع قيس ^(٢) ، وعجر فيه ضبه ^(٣) ، وتلتلة بهراء ^(٤) ، ^(٥) .

ومعظم الاختلاف - كما ترى - كان يرجع إلى الاختلاف في إبدال الحروف ، أو في الحركات ، أو في الإمالة والتفخيم ، أو في الإدغام والفك ، أو في الإعراب ، وهذا النمط من الاختلاف ليس فيه تباين كلى لما فيه من التقارب .

ويقل الاختلاف في اللفظ مع اتفاق المعنى : « كالعهن ، والصوف » حيث توجد لغتان أو أكثر من اللغات الفصيحة .

وبمرور الزمن وتوافر عوامل الوحدة صارت مكة وما حولها ملتقى للقبائل العربية ، إذ يفدون إليها للحج الذى كان معروفاً في الجاهلية قبل الإسلام ، كما يفدون إليها للتجارة ، ويعقدون المناظرات والمساجلات في الشعر والخطابة بأسواقهم التى اشتهر منها : « عكاظ » وهو السوق العامة عند العرب ، وكانت تُعقد حول مكة في أوائل شهر ذى القعدة ، وكانت سوق « مجنة » تُعقد بعدها في أواخر هذا الشهر ، ثم تُعقد سوق « ذو المجاز » في أوائل شهر ذى الحجة .

وكان الشعراء والخطباء يحرصون على أن يتحدثوا بلغة خالية من فوارق الأصوات اللغوية ، وينتقون الألفاظ ، ويختارون العبارات ، فمهدّ هذا لوحدة لغوية راقية ، حيث انسابت جداول الفصاحة العربية وانتهى مصبها في لغة قريش ، فصارت بذلك أفصح العرب ، ولسانها كان نزول القرآن ابتداءً على

(١) كسكسة هوازن ، يزيدون بعد كاف ضمير المؤنث سيناً ، فيقولون في « منك وعنك » : « منكس و عنكس » في الوقف .

(٢) الإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والحفّض (لسان العرب مادة : ضجع) .

(٣) قال ابن سيده : وعجر فيه ضبه : أراها تقعرهم في الكلام (لسان العرب مادة : عجر) .

(٤) تلتلة بهراء : يقولون : تعلمون وتفعلون وتصنعون - بكسر أوائل الحروف .

(٥) الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ٢ / ١٠ - ١١ ، ط . دار الهدى ببيروت .

الرسول العربى القرشى ، وتوجه الخطاب إلى قومه القرشيين أول الأمر :
﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) ، حتى يكون هذا أدعى لقوة البيان فى
البلاغ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

* * *

● اختلاف العلماء فى وجود كلمات فى القرآن بغير العربية :

وما قيل من أن القرآن اشتمل على كلمات أعجمية غير عربية فإنه مع ندرته
موضع خلاف بين العلماء .

١ - ف قيل : إن فى القرآن الكريم كلمات بغير العربية ، وهى كلمات
محدودة ، وهذا القول يرجع إلى ما جاء من آثار عن بعض الصحابة والتابعين
فسروا فيها كلمات بغير العربية .

فمن ذلك : ﴿ الطُّور ﴾ : جبل بالسريانية - ﴿ طَفَقَا ﴾ (٤) : أى قصدا
بالرومية - القسط والقسطاس : العدل بالرومية - ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٥) :
تُبْنَا بالعبرانية - الرقيم : اللوح بالرومية - المهل : عكر الزيت بلسان أهل
المغرب - السندس : الرقيق من الستر بالهندية - الاستبرق : الغليظ من
الدباج بالفارسية - السرى : النهر الصغير باليونانية - طه : يا رجل بالعبرانية
- يصهر : أى ينضج بلسان أهل المغرب - سينين : الحسن بالنبطية - المشكاة :
الكوة بالحشوية ، وقيل : الزجاجة تُسرج - الدرئى : المضئ بالحشوية - الأليم :
المؤلم بالعبرانية - ﴿ نَاطِرِينَ إِنَاهُ ﴾ (٦) : أى نضجه بلسان أهل المغرب -
﴿ الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ (٧) : أى الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة : الأولى ،

(١) الشعراء : ٢١٤ (٢) إبراهيم : ٤ (٣) يوسف : ٢
(٤) الأعراف : ٢٢ ، طه : ١٢١ (٥) الأعراف : ١٥٦ (٦) الأحزاب : ٥٣
(٧) سورة ص : ٧

والأولى : الآخرة - ﴿ وَرَأَاهُمْ مَلَكٌ ﴾ (١) : أى أمامهم بالقبضية - اليم : البحر بالقبضية - بطائنها : ظواهرها بالقبضية - الأب : الحشيش بلغة أهل المغرب - ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ (٢) : قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل - ﴿ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ (٣) ، قال أبو موسى الأشعري (٤) رضى الله عنه : « ضعفين » بلغة الحبشة - القسورة : الأسد بلغة الحبشة (٥) .

وينسب هذا الرأي إلى ابن عباس ، وتلاميذه : مجاهد (٦) ، وسعيد بن جبير (٧) ، وعكرمة (٨) ، وعطاء (٩) ، وآخرين من الصحابة والتابعين فيما روى عنهم فى كتب التفسير بالآثر .

وذكر السيوطى سوى هذه الكلمات كلمات أخرى أورد روايات فى تفسيرها عن ابن أبى حاتم (١٠) ، وابن جرير ، والثعالبي (١١) ، وآخرين من علماء اللغة منها :

-
- (١) الكهف : ٧٩ (٢) المزمل : ٦ (٣) الحديد : ٢٨
(٤) أبو موسى الأشعري ، واسمه عبد الله بن قيس ، مشهور باسمه وكنيته ، ويكنيته أكثر ، استعمله عمر على البصرة ، ثم عثمان على الكوفة - ت ٥٠ هـ (الإصابة ٢ / ٣٥١) .
(٥) البرهان ١ / ٢٨٨ - ٢٨٩
(٦) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي ، تابعى مفسر - ت ١٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤٢ / ١) .
(٧) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء ، الكوفي تابعى من العلماء الفضلاء ، قتله الحجاج لموالاته عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث - ت ٩٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ١١) .
(٨) عكرمة بن عبد الله البربرى المدنى مولى عبد الله بن عباس ، كان من أعلم الناس بالتفسير - ت ١٠٥ هـ (تهذيب التهذيب ٧ / ٢٦٣) .
(٩) عطاء بن أبى رباح ، أسلم بن صفوان تابعى من أجلاء الفقهاء - ت ١١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٧ / ١٩٩) .
(١٠) ابن أبى حاتم : عبد الرحمن بن محمد الرازى ، الحافظ المحدث ، من تصانيفه : « الجرح والتعديل » و « التفسير » و « علل الحديث » - ت ٣٢٧ هـ (الأعلام ٤ / ٩٩) .
(١١) الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، من أئمة اللغة والأدب ، من كتبه : « يتيمة الدهر » و « فقه اللغة » - ت ٤٢٩ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٢٩٠) .

أباريق : جمع إبريق ، والإبريق بالفارسية طريق الماء ، أو صب الماء على هيئة - الأرائك : السرر بالحشيشة - أسفار : هى الكتب بالسريانية ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحَّاك ^(١) قال : هى الكتب بالنبطية - أكواب : أخرج ابن جرير عن الضحَّاك أنها بالنبطية ، وأنها جرار ليست لها عرى - أوَّاه : أخرج أبو الشيخ ^(٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : الأوَّاة : الموقن بلسان الحبشة ، وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن مجاهد وعكرمة .

الجبت : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : الجبت : اسم الشيطان بالحشيشة ، وأخرج عبد بن حميد ^(٣) عن عكرمة قال : الجبت بلسان الحبشة : الشيطان - حصب : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ^(٤) . قال : حطب جهنم بالنزجية - ربايون : قال أبو عبيدة ^(٥) : العرب لا تعرف الربانيين ، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم ، قال : وأحسب الكلمة ليست بعربية ، وإنما هى عبرانية أو سريانية .

الصراط : حكى النقاش ^(٦) وابن الجوزى ^(٧) أنه الطريق بلغة الروم -

(١) الضحَّاك بن مزاحم البلخى الخراسانى المفسر - ت ١٠٥ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ٤٥٣) .

(٢) أبو الشيخ : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيَّان الأصبهاني أبو الشيخ محدث حافظ ، مفسر ، من تصانيفه : « التفسير » و « طبقات المحدثين بأصبهان » - ت ٣٦٩ هـ (معجم المؤلفين ٦ / ١١٤) .

(٣) عبد بن حميد بن نصر الكسى « نسبة إلى كس - مدينة قرب سمرقند » من حفاظ الحديث ، من كتبه : « مسند كبير » و « تفسير » (الأعلام ٤ / ٤١) . (٤) الأنبياء : ٩٨

(٥) أبو عبيدة : معمر بن المثنى التيمى بالولاء البصرى أبو عبيدة النحوى من أئمة العلم بالأدب واللغة ، من كتبه : « مجاز القرآن » - ت ٢٠٩ هـ (وفيات الأعيان ٢ / ١٠٥) .

(٦) النقاش : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون ، أبو بكر النقاش ، عالم بالقرآن وتفسيره ، من تصانيفه : « شفاء الصدور فى التفسير » و « الإشارة فى غريب القرآن » - ت ٣٥١ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٤٨٩ ، وغاية النهاية ٢ / ١١٩) .

(٧) ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى البغدادى أبو الفرج ، محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، واعظ ، أديب ، مؤرخ ، مشارك فى أنواع أخرى من العلوم ، من تصانيفه : =

قنطار : ذكر الثعالبي في فقه اللغة أنه بالرومية : اثنتا عشر ألف أوقية ، وقال الخليل ^(١) : زعموا أنه بالسريانية : ملء جلد ثور ذهباً أو فضة ، وقال ابن قتيبة : قيل : إنه ثمانية آلاف مثقال بلغة أهل إفريقية ، وفي المحتسب لابن جنى ^(٢) : السجل : الكتاب ، قال قوم : هو فارسي معرّب - ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ^(٣) : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : هَيْتَ لَكَ : هَلُمَّ لَكَ بالقبطية ، وقال الحسن ^(٤) : هي بالسريانية كذلك ، أخرجه ابن جرير ، وقال عكرمة : هي بالخورانية كذلك ، أخرجه أبو الشيخ ، وقال أبو زيد الأنصاري ^(٥) : هي بالعبرانية ، وأصله : هينلج ، أى تعاله - طوى : أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، قال : طوى : اسم الجنة بالحبشية ، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبيرة قال : بالهندية - طور : أخرج الفريابي ^(٦) عن مجاهد قال : الطور : الجبل

= « زاد المسير في علم التفسير » و « الوجوه والنظائر » و « تلبيس إبليس » و « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » - ت ٥٩٧ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٢٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٨٣) .

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض ، من كتبه : « العين » و « تفسير حروف اللغة » و « معاني الحروف » ، وكتاب « العروض » - ت ١٧٠ هـ (وفيات الأعيان ١ / ١٧٢ ، وانباء الرواة ١ / ٣٤١) .

(٢) ابن جنى : عثمان بن جنى الموصلى أبو الفتح ، من أئمة الأدب والنحو ، من تصانيفه : « المحتسب » فى شواذ القراءات و « الخصائص » فى اللغة - ت ٣٩٢ هـ (الأعلام ٤ / ٣٦٤) .

(٣) يوسف : ٢٣

(٤) الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة فى زمنه - ت ١١٠ هـ (تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣) .

(٥) أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد أئمة الأدب واللغة ، من أهل البصرة ، ومن ثقات اللغويين ، من تصانيفه : « لغات القرآن » و « النوادر » فى اللغة - ت ٢١٥ هـ (وفيات الأعيان ١ / ٣٠٧ ، وانباء الرواة ٢ / ٣٠ - ٣٥) .

(٦) الفريابي : محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء ، التركي الأصل أبو عبد الله الفريابي ، عالم بالحديث ، من الحفاظ ، روى عنه البخارى ٢٦ حديثاً ، وله « مسند » فى الحديث - ت ٢١٢ هـ (تهذيب التهذيب) .

بالسريانية ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحَّاك أنه بالنبطية - غساق : قال الجواليقي ^(١) ، والواسطي ^(٢) : هو البارد المنتن بلسان الترك ، وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن بريدة ^(٣) ، قال : الغساق : النتن - صلوات ، قال الجواليقي : هي بالعبرانية كنائس اليهود ، وأصلها صلوتا ، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه عن الضحَّاك - مرجان : حكى الجواليقي عن بعض أهل اللغة أنه أعجمي - مسك : ذكر الثعالبي أنه فارسي - مزجاة : قال الواسطي : مزجاة : قليلة بلسان العجم ، وقيل : بلسان القبط - اليهود : قال الجواليقي : أعجمي مُعَرَّب ، منسوبون إلى يهوذا بن يعقوب ، فعُرِّبَ بإهمال الدال ^(٤) .

وأجاب أصحاب هذا الرأي عن قوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٦) ... ونحو ذلك ، بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرج عن كونه عربياً ، كما أن القصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية بوجود لفظة فيها عربية .

وأجابوا عن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ ^(٧) ، بأن المعنى من السياق : أكلام أعجمي ومخاطب عربي ؟ على وجه الإنكار ، والكلمات النادرة لا تجعله أعجمياً .

(١) الجواليقي : موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور بن الجواليقي ، عالم بالأدب واللغة ، من كتبه : « المعرب » فيما تكلمت له العرب من الكلام الأعجمي ، و « شرح أدب الكاتب » - ت ٥٤٠ هـ (وفیات الأعيان ٢ / ١٤٢) .

(٢) الواسطي : القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور أبو محمد الواسطي عالم بالعربية ، من كتبه : « شرح اللع » لابن جنى - ت ٦٢٦ هـ (بغية الوعاة ٣٨) .

(٣) عبد الله بن بريدة بن الحبيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضي مرو ، روى عن أبيه ونفر من الصحابة ، وروى عنه جماعة ، وهو من الثقات - ت ١١٥ هـ (تهذيب التهذيب ٥ / ١٥٧) .

(٤) انظر الإتيقان ٢ / ١٧٨ - ١٨٤

(٥) الشعراء : ١٩٥

(٦) يوسف : ٢

(٧) فصلت : ٤٤

٢ - وذهب الإمام الشافعي ^(١) وأبو عبيدة ، وابن جرير ، وابن فارس وآخرون إلى أنه لم يقع فى القرآن شئ بغير العربية ^(٢) .

يقول الشافعي : « ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب » ^(٣) ، ثم يقول : « فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله ، فقال منهم قائل : إن فى القرآن عربياً وأعجمياً ، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شئ إلا بلسان العرب » ^(٤) .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول ، قال : ومعناه أتى بأمر عظيم ، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها ، وفى ذلك ما فيه ^(٥) .

وأجاب ابن جرير الطبرى عن الكلمات التى قال فيها ابن عباس وغيره إنها أعجمية بأنها من الكلمات التى تواردت فى عدة لغات فى العربية وغير العربية ، ولا يدل نطق الأعاجم بها على أن العرب اقتبسوها منهم ، كما أنهم

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمى القرشى المطلبى ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، من كتبه : « الأم » فى الفقه ، و « الرسالة » فى أصول الفقه - ت ٢٠٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ٢٥) .

(٢) انظر الإتيان ١ / ١٧٨

(٤) المرجع السابق ص ٤١ - ٤٢

(٣) الرسالة بتحقيق أحمد شاكر ، ص ٤٠

(٥) البرهان ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨

لم يقتبسوها من العرب ، ولا مانع من أن تتفق لغتان أو أكثر فى بعض الألفاظ ، وليس إدعاء أمة بأنها لغتها أولى من إدعاء أمة أخرى ، ولم يقل أحد من فُسِّرَ هذه الكلمات فى القرآن بغير العربية ، أنها ليست من كلام العرب .

يقول ابن جرير : « إن الذى قالوه من ذلك غير خارج عن معنى ما قلنا ، من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك لها منطقاً قبل نزول القرآن ... وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا ، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا ، ولم تستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك - مما يتعب إحصاؤه ، ويميل تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره - مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ، ولعل ذلك كذلك فى سائر الألسن التى نجهل منطقها ولا نعرف كلامها » (١) .

ثم قال : « وهذا المعنى الذى قلناه فى ذلك هو معنى قول من قال : « فى القرآن من كل لسان » (٢) ، عندنا بمعنى - والله أعلم - أن فيه من كل لسان اتفاق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التى تنطق بها ... فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن بعض القرآن فارسى لا عربى ، وبعضه نبطى لا عربى ، وبعضه رومى لا عربى ، وبعضه حبشى لا عربى ، بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآناً عربياً » (٣) .

(١) تفسير الطبرى ١ / ١٤ - ١٥

(٢) روى هذا ابن جرير عن أبى ميسرة قال : « فى القرآن من كل لسان » ، المرجع السابق ١٤ / ١ - وأبو ميسرة : هو عمرو بن شرحبيل الهمدانى الثقة المخضرم أبو ميسرة الكوفى - ت ٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ٨ / ٤٧) .

(٣) المرجع السابق ١ / ١٧ - ١٨

٣ - وذهب ابن عطية إلى أن فى القرآن ألفاظاً أعجمية استعمالها العرب بالمخالطة مع غيرهم ، وشاع استعمالها حتى صار كسائر الألفاظ عند العربى ، فأصبحت بعد تعريبها عربية .

وهذا الذى ذهب إليه ابن عطية يجمع بين الرايين السابقين ، وهو الذى يترجح لدى ، وتقبل إليه نفسى .

يقول ابن عطية : « والذى أقوله : إن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة ، بتجارات ، وبرحلتى قريش ، ويسفر مسافر بن : أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ^(١) ، إلى الشام ، وسفر عمر ابن الخطاب ^(٢) ، وكسفر عمرو بن العاص ^(٣) ، وعمارة بن الوليد ^(٤) ، إلى

(١) مسافر بن أبى عمرو (واسمه ذكوان) ابن أمية بن عبد شمس : شاعر ، من سادات بنى أمية وأجدادهم فى الجاهلية ، وقد على النعمان بن المنذر فأكرمه وجعله فى خاصة ندمائه - توفى نحو ١٠ ق هـ (الأعلام ٨ / ١٠٤) .

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، أبو حفص ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، احترف التجارة فى الجاهلية ، وكان يختلف فيها إلى الشام ، ثم دعى إلى الشام بعد فتحها ، ولكنه رجع قبل دخولها بسبب الطاعون - ت ٢٣ هـ (تاريخ الإسلام السياسى ١ / ٢٠٨ وما بعدها) .

(٣) عمرو بن العاص بن وائل السهمى القرشى ، أبو عبد الله ، فاتح مصر ، وأحد عظماء العرب ودهاتهم ، أوفدته قريش فى الجاهلية مع عبد الله بن أبى ربيعة وعمارة إلى النجاشى فى طلب المهاجرين إلى الحبشة ، ثم كان أحد رجال الفتح الإسلامى للشام - ت ٤٣ هـ (السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٦) .

(٤) عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، حين عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه لهم . مشوا إليه بعمارة ليأخذه عوضاً ويدفع إليهم محمداً ليقتلوه فأبى ، وهو أحد الذى أرسلتهم قريش إلى النجاشى فى طلب المهاجرين إلى الحبشة ، وكان من أمره أنه أصيب بعقله وهلك . (انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٥ ، ٣٥٧ ، والإصابة ٣ / ١٧٠) .

أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى ^(١) إلى الخيرة ، وصحبته لنصاراها مع كونه حُجَّة في اللُّغة ، فعلقت (هوت وأحبت) العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية ، غيَّرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصريح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فإن جهلها عربى ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، كما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه .

ثم رد على الطبرى فقال : « وما ذهب إليه الطبرى من أن اللُّغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد ، بل إحداهما أصل ، والأخرى فرع في الأكثر ، لأنَّ لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً » ^(٢) .

وحكى ابن فارس عن أبى عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك ، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء ، والمنع إلى أهل العربية ، ثم قال أبو عبيدة : « والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بالسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق » .. قال : « وإنما فسر هذا لئلا يقدم أحد على

(١) الأعشى : ميمون بن قيس الوائلى أبو بصير ، أحد أصحاب المعلقات ، كان يعد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وعنى في آخر عمره - ت ٧ هـ (الأعلام ٨ / - ٣٠٠) .

(٢) المحرر الوجيز ١ / ٣٦ - ٣٧

الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أَرَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيماً للقرآن .

قال ابن فارس : « وليس كل مَنْ خالف قائلًا في مقالته ينسبه إلى الجهل ، فقد اختلف الصدر الأول في تأويل آي من القرآن » .

قال : « فالقول إذن ما قاله أبو عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره » (١) .



(١) البرهان ١ / ٢٩٠

نزل القرآن على سبعة أحرف

اتضح لنا فيما ذكرنا من قبل اختلاف اللهجات العربية ، وأنها قد تسمى باللغات ، وما كان بين كل لهجة وأخرى من فوارق ، منها ما اشتهر وفشا استعماله ، ومنها ما لم يكن كذلك ، وتبين أنه كان للعرب لهجات شتى ، تنبع من طبيعة فطرتهم ، فى جرسها وأصواتها وحروفها ، تعرضت لها كتب الأدب واللغة بالبيان والمقارنة ، فكل قبيلة لها من اللحن فى كثير من الكلمات ما ليس للآخرين ، ولكن قريشاً من بين العرب قد تهيأت لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى ، من جوار البيت ، وسقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، والإشراف على التجارة ، فأنزلها العرب جميعاً لهذه الخصائص وغيرها منزلة الأم للغاتهم ، فكان طبيعياً أن يتنزل القرآن بلسان قريش على الرسول ﷺ القرشى تأليفاً للعرب ، وتحقيقاً لإعجاز القرآن حين يسقط لى أيديهم أن يأتوا بمثله ، أو بسورة منه .

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم فى المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت ، فالقرآن الذى أوحى الله به لرسوله محمد ﷺ يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً بحروفه وأوجه قراءته للخالص منها ، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم .

● درجة حديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

صحَّ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من عدة طرق فى الصحيح وفى كتب السنة .

فرواه جمع كثير من الصحابة منهم : أبى بن كعب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ،

وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ،
وعمر بن أبى سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ،
وأبو بكر (١) ، وأبو جهم (٢) ، وأبو سعيد الخدرى (٣) ، وأبو طلحة
الأنصارى (٤) ، وأبو هريرة ، وأبو أيوب (٥) ، قال السيوطى فى الإتيان بعد
أن عدّهم : فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً « (٦) .

وأخرج أبو يعلى فى مسنده الكبير (٧) ، أن عثمان رضى الله عنه قال يوماً
وهو على المنبر : « أذكّر الله رجلاً سمع النبى ﷺ قال : « إن القرآن أنزل على
سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ » لما قام » ، فقاموا حتى لم يُحصوا ، فشهدوا أن
رسول الله ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ » فقال
عثمان رضى الله عنه : « وأنا أشهد معهم » (٨) .

(١) اسمه : نفع بن الحارث الثقفى - تقريب التهذيب لابن حجر ، ط . المكتبة العلمية بالمدينة

٤٠١/٢

(٢) هو أبو جهم بن حذيفة القرشى العدوى ، اسمه عامر على الراجح ، الإصابة لابن حجر ،

ط . مصطفى محمد ٤ / ٣٥

(٣) اسمه : سعد بن مالك ، التقريب ٢ / ٤٢٨

(٤) اسمه : زيد بن سهل ، الإصابة ٤ / ١١٤

(٥) اسمه خالد بن زيد الأنصارى ، التقريب ٢ / ٣٩٣

(٦) الإتيان ١ / ٤٥ مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر ، والسيوطى : هو عبد الرحمن بن أبى بكر

ابن محمد السيوطى جلال الدين ، إمام حافظ مؤرخ ، أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف - ت ٩١١ هـ
الأعلام ، خير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية ٤ / ٧١) .

(٧) أحمد بن على بن المشى التميمى الموصلى - أبو يعلى ، حافظ ، من علماء الحديث ، ثقة

مشهور ، نعتة الذهبى بمحدث الموصلى ، له فى الحديث مستندان : كبير وصغير - ت ٣٠٧ هـ

(الأعلام ١ / ١٦٤) .

(٨) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - تصحيح على محمد الصباغ ١ / ٢١ ،

ط . مصطفى محمد . والإتيان ١ / ٤٥

وهذه الرواية تدل على شهادة الجمع الكثير الذى لا يُحصى بهذا الحديث ، وأن هذا الجمع لم يكن من الصحابة وحدهم ، بل كان من الصحابة والتابعين ، إذ يترجح فى عهد عثمان أن يكون الحاضرون من الصحابة والتابعين معاً ، وهذا يعنى أن رواية العدد الكثير الذى يؤمن تواطؤه على الكذب لحديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » ليست قاصرة على طبقة الصحابة .

لذا نقل السيوطى عن أبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) القول بتواتر هذا الحديث ^(١) ، وعده السيوطى نفسه فى « التدريب » من الأحاديث المتواترة ^(٢) .

ولا خلاف فى صحة الحديث ، فقد رواه البخارى ومسلم وابن حبان والحاكم من طرق كثيرة ، وأخرجه أبو داود والنسائى والترمذى وأحمد وابن جرير الطبرى والطبرانى بألفاظ متعددة .

والحديث بهذا على مذهب ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن - ت ٦٤٣ هـ) يفيد العلم اليقينى النظرى ، فقد عدّ أقسام الحديث الصحيح قائلاً : « فأولها : صحيح أخرجه البخارى ومسلم جميعاً ، الثانى : صحيح انفرد به البخارى ، أى عن مسلم ، الثالث : صحيح انفرد به مسلم ، أى عن البخارى ، الرابع : صحيح على شرطهما لم يخرجاه ، الخامس : صحيح على شرط البخارى لم يخرججه ، السادس : صحيح على شرط مسلم لم يخرججه ، السابع : صحيح عند غيرهما وليس على شرط واحد منهما ، هذه أمهات أقسامه ، وأعلها الأول ، وهو الذى يقول فيه أهل الحديث كثيراً : « صحيح متفق عليه » يطلقون ذلك ويعنون به

(١) الإتيان ١ / ٤٥

(٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للسيوطى - تحقيق محمود عبد اللطيف ط . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ص ٣٧٤

اتفاق البخارى ومسلم ^(١) . لا اتفاق الأمة عليه ، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه ، لاتفاق الأمة على تلقى ما اتفقا عليه بالقبول .

وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته ، والعلم اليقيني النظرى واقع به ، خلافاً لقول مَنْ نفى ذلك محتجاً بأنه لا يفيد فى أصله إلا الظن ، وإنما تلقت الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن ، والظن قد يخطئ .

وقد كنتُ أميل إلى هذا وأحسبه قوياً ، ثم بان لى أن المذهب الذى اخترناه أولاً هو الصحيح ، لأن ظن مَنْ هو معصوم من الخطأ لا يُخطئ ، والأمة فى إجماعها معصومة من الخطأ ، ولهذا كان الإجماع المبتنى على الاجتهاد حُجَّةً مقطوعاً بها ، وأكثر إجماعات العلماء كذلك ^(٢) .

فالحديث المتفق على صحته يفيد العلم اليقيني النظرى عند ابن الصلاح ، وحديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » متفق على صحته ، فهو يفيد العلم اليقيني النظرى ، وإن لم نقل : إن الحديث متواتر ، فكلاهما يفيد العلم اليقيني ، والفرق بينهما فى إفادة العلم ، أن المتواتر يفيد العلم اليقيني الضرورى الذى يضطر الإنسان إليه دون حاجة إلى استدلال ، أما المتفق على صحته فإنه يفيد العلم اليقيني النظرى الذى يحصل بالاستدلال ، فالعلم الضرورى يحصل لكل سامع وإن كان عامياً ، أما النظرى فإنه لا يحصل إلا لمن له أهلية النظر ^(٣) .

وبهذا كان حديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » مفيداً للعلم اليقيني النظرى

(١) اصطلاح ابن تيمية الجد - عبد السلام بن عبد الله ، مجد الدين (ت ٦٥٢ هـ) فى كتابه « منتقى الأخبار » أن المتفق عليه : هو ما رواه البخارى ومسلم وأحمد .

(٢) علوم الحديث لأبى عمرو بن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن بن موسى (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق نور الدين عتر - المكتبة العلمية ص ٢٣ - ٢٤

(٣) انظر « على القارى على شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر لابن حجر » طبعة الباب العالى العثمانية ص ٢٦ - ٢٨

وإن كان حديث آحاد ، والأصل فى الآحاد بأقسامه باعتبار طرقه : المشهور ، والعزیز ، والغريب ^(١) ، أنه يفيد الظن .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى - أحمد بن على بن محمد (ت ٨٥٢ هـ) أن الآحاد يفيد العلم النظرى إذا احتفت به قرائن ، والمحترف بالقرائن أنواع ، منها : ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر - كما ذكر ابن الصلاح - فإنه احتف به قرائن : منها جلالتهما فى هذا الشأن ، وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما ، وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول - وهذا التلقى وحده أقوى فى إفادة العلم ... ومنها : المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل ... ومنها : الحديث المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريباً ^(٢) .



● طائفة من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - أخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ومالك فى الموطأ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « سمعتُ هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فى حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعتُ لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره فى الصلاة ^(٣) ،

(١) الحديث المتواتر : هو ما رواه عدد كثير يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه واستندوا إلى أمر محسوس ، وحديث الآحاد : هو ما لم يجمع شروط التواتر ، والمشهور : هو ما رواه ثلاثة فأكثر فى كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر ، والعزیز : هو الذى لا يقل رواه عن اثنين فى جميع طبقات السند - والغريب : هو ما يتفرد بروايته راوٍ واحد فى موضع أو أكثر من السند .

(٢) انظر : نزعة النظر بشرح نخبة الفكر ص ١٤ - ١٥ - المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

(٣) أساوره : أواليه وأخذ برأسه ، ومعناه : أغاليه .

فتربصتُ حتى سلمَ ، فلببته بردائه ^(١) ، فقلت : مَنْ أقرأكَ هذه السورة التى سمعتُك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ؛ إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئينها ، فقال رسول الله ﷺ : « أرسله ، اقرأ يا هشام » ، فقرأ عليه القراءة التى كنت سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرأ يا عمر » فقرأتُ القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ﷺ : « هكذا أنزلت ، إن هذا القرآن أنزلَ على سبعة أحرف فاقربوا ما تيسر منه » .

٢ - وأخرج مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي عن أبي بن كعب رضى الله عنه - واللفظ لمسلم - قال : « إن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار ^(٢) ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرُك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرُك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرُك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرُك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأبى حرف قرؤا عليه فقد أصابوا » .

وفى رواية أبى داود : « ليس منها إلا شافٍ كافٍ ، إن قلت : سمياً عليمياً ، عزيزاً حكيماً ، ما لم تختتم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب » .

(١) فلببته برادته : جمعت الرداء فى موضع لبته - أى فى عنقه - وأمكنه وجذبه به .

(٢) الأضاة : الماء المستنقع من سيل أو غيره . أو الغدير الصغير ، وجمعها : أضى مثل : حصاة وحصى .

وفى رواية للنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « يا أباي ، أنزل (أى القرآن) على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ » (١) .

وفى رواية عند الترمذي ، قال أبي بن كعب : « لقي رسول الله ﷺ جبريل ، فقال : « يا جبريل : بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ (٢) ، فيهم العجوز والشيخ الكبير ، والغلام والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط » ، فقال : يا محمد : إن القرآن أنزلَ على سبعة أحرف » .

قال البغوى فى شرح السُّنة : وقوله فى حديث : « كلها شافٍ كافٍ » يريد - والله أعلم - أن كل حرف من هذه الأحرف السبعة شافٍ لصدور المؤمنين ، لاتفاقها فى المعنى ، وكونها من عند الله وتنزيله ووحية ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ (٣) ، وهو كافٍ فى الحُجَّةِ على صدق رسول الله ﷺ لإعجاز نظمهِ ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ، والله تعالى أعلم » (٤) .

٣ - وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأنى جبريل على حرف ، فراجعته ، فزادنى ، فلم أزل أستزيده ، ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » ، قال ابن شهاب : « بلغنى أن تلك

(١) شافٍ كافٍ : شافٍ : من الشفاء ، وكافٍ : من الكفاية .

(٢) أُمِّيِّينَ : الأُمِّيُّونَ : جمع أُمى ، وهو الذى لا يكتب ، منسوب إلى ما عليه أمة العرب ، وكانوا لا يكتبون ، وقيل : الأُمى : الذى على أصل ولادة أُمه ، لم يتعلم الكتابة ، فهو على جبلته التى ولد عليها .

(٣) فصلت : ٤٤

(٤) شرح السُّنة للبغوى ٤ / ٥١٢ - ط . المكتب الاسلامى ، والبغوى : هو الحسين بن مسعود ابن محمد الفراء (ت . ٥١ هـ) .

السبعة الأحرف ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلف في حلال ولا حرام » (١) .

٤ - وأخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، عن عمرو ، أن رجلاً قرأ آية من القرآن ، فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأى ذلك قرأتم أصبتم ، فلا تماروا » (٢) .

٥ - وروى الحاكم وابن حبان بسندهما عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول الله ﷺ سورة من آل حم ، فرحت إلى المسجد ، فقلت لرجل : اقرأها ، فإذا هو يقرأها حروفاً ما أقرأها ، فقال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه ، فتغير وجهه ، وقال : « إنما أهلك من قبلكم الاختلاف » ، ثم أسر إلى عليّ شيئاً ، فقال عليّ : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم ، قال : فانطلقنا وكل رجل يقرأ حروفاً لا يقرأها صاحبه .

وروى الطبري والطبراني عن زيد بن أرقم قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد بن ثابت ، وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، وعليّ إلى جنبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم ، فإنه حسن جميل » (٣) .

(١) قوله في الحديث : قال ابن شهاب - هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري أبو بكر (ت ١٢٤ هـ) وهذا من رواية مسلم فقط ، وانظر : « جامع الأصول في أحاديث الرسول » لابن الأثير الجزري - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الخلواني وآخرين (ج ٢ ص ٤٧٧ - ٤٨٤) .

(٢) أبو قيس : هو عبد الرحمن بن ثابت (ت ٥٤ هـ) كما في تقريب التهذيب (٢ / ٤٦٤) ، وماراه مارة ومراء وامترى فيه وتماوى : شك ، والمرية : الشك والجدل .

(٣) الطبري - محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) والطبراني - سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) ، وانظر ما أورده ابن حجر في فتح الباري (ج ٩ ص ٢٣) وما بعدها - المطبعة السلفية ومكنتها .

٦ - وروى ابن أبي شيبه في « المصنف » وأحمد بن حنبل في « مسنده » عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه : « أن جبريل قال لرسول الله ﷺ : اقرأ القرآن على حرف ، فقال له ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، ثم قال : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ ، كقولك : هَلَمْ وَتَعَالَ ، ما لم تختتم آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة » (١) .

٧ - وروى البيهقي في السنن الكبرى (٢) ، عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب قال : « قرأتُ آية وقرأ ابن مسعود خلفها ، فأتينا النبي ﷺ فقلت : ألم تُقرئني آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال ابن مسعود : ألم تُقرئنيها كذا وكذا ؟ قال : بلى ، قال : كلاهما محسن ، قلت : ما كلاتنا أحسن ولا أجمل ، قال : فضرب صدري وقال : يا أباي ! إني أقرئت القرآن ، فقبل لي : أعلى حرف أم على حرفين ؟ فقال الملك الذي معي : على حرفين ، فقلت : على حرفين ، فقبل لي : أعلى حرفين أم ثلاثة ، فقال الملك الذي معي : على ثلاثة ، فقلت : ثلاثة ، حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : ليس فيها إلا شافٍ كافٍ ، قلت : غفور رحيم ، عليهم حكيم ، سميع عليهم ، عزيز حكيم ، نحو هذا ما لم تختتم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب » .

قال أبو عبيد : قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا حديثاً واحداً يُروى عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ أنه قال : « أنزل القرآن على ثلاثة أحرف » قال أبو عبيد : ولا نرى المحفوظ إلا السبعة ، لأنها المشهورة .

(١) أبو بكر بن أبي شيبه أحد شيوخ مسلم ، وهو عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٢٥ هـ) ، وعبد الرحمن بن أبي بكرة تابعي ثقة (ت ٩٦ هـ) ، وأبو بكرة هو نافع بن الحارث بن كلدة أبو بكر الثقفى صحابى - ت . ٥٠ هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٤٦٩ دار صادر ، بيروت) .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن على أبو بكر البيهقي من أئمة الحديث له : « السنن الكبرى » و « شعب الإيمان » و « الأسماء والصفات » (ت ٤٥٨ هـ) .

قال أبو شامة (١) : أخرج حديث الثلاثة الحاكم في مستدركه ، فيجوز أن يكون معناه : أن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف ك « جَذْوَة » (٢) ، و « الرَّهَب » (٣) ، و « الصَّدَقَيْن » (٤) ، يقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذه القراءات المشهورة ، أو أراد : أنزل ابتداءً على ثلاثة ، ثم زيد إلى سبعة والله أعلم (٥) .

وقد عني كثير من العلماء بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وتناولوها بالدراسة منذ زمن قديم ، ومنهم : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) في كتابه « غريب الحديث » ، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) في مقدمة تفسيره ، ومكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) في كتبه « الإبانة عن معاني القراءة » ، وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) في كتابه « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » .



(١) شهاب الدين بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي آتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ (القصص : ٢٩) قرأ حمزة : « أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ » بضم الجيم ، وقرأ عاصم بالفتح ، وقرأ الباقون من السبعة بالكسر - كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ص ٤٥٦ ط . الدار السلفية - الهند .

(٣) في قوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ (القصص : ٣٢) قرأ الحرميان وأبو عمرو و (الرهب) بفتح الراء والهاء ، وقرأ حفص بفتح الراء واسكان الهاء ، وقرأ الباقون من السبعة بضم الراء واسكان الهاء - المصدر السابق ص ٤٥٦ - ٤٥٧

(٤) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَقَيْنِ ﴾ (الكهف : ٩٦) قرأ أبو بكر - راوى عاصم « الصَّدَقَيْن » بإسكان الدال وضم الصاد ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بضم الصاد والدال ، وقرأ الباقون بفتحهما جميعاً - المصدر السابق ص ٤١٢

(٥) المرشد الوجيز ص ٨٧ - ٨٨

● معنى الحرف فى اللُّغة :

إذا كان حديث نزول القرآن على سبعة أحرف قطعى الثبوت يفيد العلم اليقينى الضرورى عند مَنْ ذهب إلى أنه متواتر ، أو العلم اليقينى النظرى عند ابن الصلاح وغيره ، فإنه ظنى الدلالة للإجمال فى الأحرف السبعة ، إذ لا يتعين المراد منها ، وقبل أن نذكر آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة ، فإنه يجدر بنا أن نعرف معنى الحرف فى اللُّغة ، حتى يساعدنا هذا فى بحث آراء العلماء على التنظير والاختيار .

قال ابن فارس ^(١) : « الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول : حد الشئ ، والعدول ، وتقدير الشئ » .

فأما الحد ، فحرف كل شئ حده ، كالسيف وغيره ، ومنه الحرف ، وهو الوجه ، تقول : هو من أمره على حرف واحد ، أى طريقة واحدة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ ^(٢) ، أى على وجه واحد ، وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء ، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء ، فقد عبده على حرف ، ألا تراه قال تعالى : ﴿ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ ^(٣) ... والأصل الثانى : الانحراف عن الشئ ، يقال : انحرف عنه ينحرف انحرافاً ، وحرفته أنا عنه ، أى عدلت به عنه ، ولذلك يقال : محارف ، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه ، وذلك كتحرif الكلام ، وهو عدله عن جهته ، قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ ^(٤) ، وفى المائدة : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ ^(٥) .

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى أبو الحسن من أئمة اللُّغة والأدب - ت ٣٩٥ هـ

(٣) الحج : ١١

(٢) الحج : ١١

(الأعلام ١ / ١٨٤) .

(٥) الآية : ٤١

(٤) النساء : ٤٦

والأصل الثالث : المحارف : حديدة يُقَدَّرُ بها الجراحات عند العلاج ... وزعم
ناس أن المحارف من هذا ، كأنه قُدِّرَ عليه رزقه كما تُقَدَّرُ الجراحة بالمحارف .
ومن هذا الباب : فلان يحرف لعياله ، أى يكسب ، وذلك من حرف واحترف ،
أى كسب » (١) .

والذى معنا هنا من الأصل الأول فيما ذكره ابن فارس .

ويقول الراغب فى مفرداته (٢) : « حرف الشئ : طرفه ، وجمعه أحرف
وحروف ، يقال : حرف السيف ، وحرف السفينة ، وحرف الجبل ، وحروف
الهجاء : أطراف الكلمة » .

وفى القاموس المحيط : « الحرف من كل شئ طرفه ، وواحد حروف التهجى ..
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ (٣) أى وجه واحد ، وهو أن يعبد
على السراء لا الضراء ، أو على شك ، أو على غير طمأنينة على أمره ، أى لا يدخل
فى الدين متمكناً ، ونزل القرآن على سبعة أحرف : سبع لغات من لغات
العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، وإن جاء على
سبعة أو عشرة أو أكثر ، ولكن المعنى : هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن » .

وفى لسان العرب لابن منظور : « الحرف من حروف الهجاء ، معروف واحد
حروف التهجى ، وكل كلمة تُقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً ، تقول :
هذا فى حرف ابن مسعود ، أى فى قراءة ابن مسعود ، قال ابن سيدة (على بن
إسماعيل - ت ٤٥٨ هـ) : والحرف : القراءة التى تُقرأ على أوجه ، وما جاء فى
الحديث من قوله عليه السلام : « نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شافٍ كافٍ »

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - ج ٢ الطبعة الثانية -
مطبعة الحلبي ص ٤٢ - ٤٣

(٢) هو اخسین بن محمد بن الفضل الأصفهانی - أو الأصبهانی - المعروف بالراغب
- ت ٥٠٢ هـ (الأعلام ٢ / ٢٧٩) . (٣) الحج : ١١

أراد بالحرف اللُّغة ، قال أبو عبيدة وأبو العباس ^(١) : نزل على سبع لغات من لغات العرب ، قال : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم يُسمع به ، قال : ولكن يقول هذه اللُّغات متفرقة في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة أهل اليمن ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وكذلك سائر اللُّغات ومعانيها في هذا كله واحد ، وقال غيره : وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ، على أنه قد جاء في القرآن ما قد قُرئ بسبعة وعشرة ، نحو : « ملك يوم الدين » ، و « عبد الطاغوت » ، وما يبين ذلك قول ابن مسعود : إني قد سمعت القراءة فوجدتهم متقاربين ، فاقروا كما علمتم ، إنما هو كقول أحدكم : هَلَمْ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ ، قال ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - ت ٦٠٦ هـ) : وفيه أقوال غير ذلك ، هذا أحسنها ، والحرف في الأصل : الطرف والجانب ، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء ^(٢) .

وروي الأزهرى (محمد بن أحمد بن الأزهر الهروى - ت ٣٧٠ هـ) ، عن أبي العباس أنه سُئل عن قوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف » فقال : ما هي إلا لغات ، قال الأزهرى : فأبو العباس النحوى ، وهو واحد عصره ، قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه ... وإلى هذا أوماً أبو العباس النحوى وأبو بكر بن الأنبارى (محمد بن القاسم بن محمد بن بشار - ت ٢٢٨ هـ) فى كتاب له ألّفه فى اتباع ما فى المصحف الإمام ، ووافقه على ذلك أبو بكر بن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس التميمى - ت ٣٢٤ هـ) مقررئ أهل

(١) المراد به : محمد بن يزيد الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٦ هـ) إمام العربية ببغداد فى زمنه (الأعلام ، خير الدين الزركلى - الطبعة الثانية ٨ / ١٥) .

(٢) انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٣٦٩/١) ، ط . عيسى البابى الحلبي وشركاه .

العراق وغيره من الأثبات المتقنين ، قال : ولا يجوز عندى غير ما قالوا ، والله تعالى يوفقنا للاتباع ، ويجنبنا الابتداع .

وقال ابن قتيبة : « والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ، وعلى الكلمة الواحدة ، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ، والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

ألا ترى أنهم يقولون : قال الشاعر كذا فى كلمته ، يعنون : فى قصيدته ، والله جلّ وعز يقول : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ (٢) ، (٣) .

ويتضح مما ذكر آنفاً ، أن الحرف يُطلق حقيقة على أحد حروف التهجى ، ويُطلق مجازاً على كلمة من إطلاق الجزء وإرادة الكل ، مجاز مرسل علاقته الجزئية ، لأن الكلمة تتركب من حروف ، أو على اللغة ، لأن ألفاظها تتكون من حروف ، أو على وجه من وجوه اللغة للاختلاف فى طريقة النطق وكيفيةه .



● آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة :

ذهبت آراء العلماء فى المراد بالأحرف السبعة مذاهب كثيرة ، وقال ابن العربى (٤) : لم يأت فى معنى هذا السبع نفى ولا أثر ، واختلف الناس فى تعيينها .

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان البستى (٥) : اختلف الناس فيها على

(١) التوبة : ٧٤

(٢) الفتح : ٢٦

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر ، ط . الحلبي ص ٢٧

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي - ت ٥٤٣ هـ (الأعلام ٧ / ١٠٦) .

(٥) محمد بن حبان صاحب المسند الصحيح - ت ٣٥٤ هـ (المصدر السابق ٦ / ٣٠٦) .

خمسـة وثلاثين قولاً ، وقال : وقفتُ منها على كثير (١) ، ونقل القرطبي (محمد ابن أحمد المفسر - ت ٦٧١ هـ) عنه ذلك فى مقدمة التفسير ، ولكنه لم يذكر منها سوى خمسـة فقال : « وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسـة وثلاثين قولاً ، ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستى ، نذكر منها فى هذا الكتاب خمسـة أقوال » (٢) ، وقال المنذرى (عبد العظيم بن عبد القوى - ت ٦٥٦ هـ) أكثرها غير مختار ، وعلق ابن حجر على ذلك فقال : ولم أقف على كلام ابن حبان فى هذا بعد تتبعى مظانه من صحيحه (٣) .

ولكن السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد - ت ٩١١ هـ) فى « الإتيقان » نقل اختلاف العلماء فى معنى حديث « نزول القرآن على سبعة أحرف » على نحو أربعين قولاً ، وذكر منها خمسـة وثلاثين قولاً ، ثم قال : « قال ابن حبان : فهذه خمسـة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهى أقاويل يشبه بعضها بعضاً ، وكلها محتملة ، ويُحتمل غيرها » (٤) ، وهذا النص يدل على أن السيوطى اطلع على كلام ابن حبان فى كتب من كتبه ، ونقله فى كتابه « الإتيقان » .



● سبب اهتمام العلماء بهذا الموضوع :

وقد اهتم العلماء بهذا الموضوع وعنوا به حتى كثرت فيه الأقوال ، وتعددت الآراء ، واختلفت وجهات النظر ، ويرجع ذلك إلى أمور :

-
- (١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٢١٢ ، ط . الحلبي .
 - (٢) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٢ ، ط . دار التراث العربى - بيروت .
 - (٣) فتح البارى ٩ / ٢٣ المطبعة السلفية .
 - (٤) الإتيقان فى علوم القرآن ١ / ٤٩ ، ط . الحلبي ، وارجع الى كتاب « المرشد الوجيز » لأبى شامة فسترى أقوالاً كثيرة ، وإن لم ترد بترتيب عددى .

الأول : أنه موضوع وثيق الصلة بالقرآن الكريم ، وهو أساس الدين الذى قام عليه أمر الأمة ، ومصدر التشريع الذى تصوغ عليه حياتها ، وكلام الله الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والنقل المتواتر هو دعامه قطعية ثبوت القرآن .

الثانى : أن الأحاديث الواردة فى نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف مع كثرتها وتعدد رواياتها جاءت مجملة ، لا تكشف عن حقيقة المراد بهذه الأحرف ، ولم يأت نص صحيح صريح يبينها ، فكان الاجتهاد فى تحديد المراد بها مدعاة للاختلاف .

الثالث : أن تخاصم الصحابة فى هذا الأمر وتحاكمهم إلى رسول الله ﷺ جاء الجواب عنه برد كل واحد إلى ما قرأ وتصويبه ، ولم تبين الأحاديث الاختلاف الذى كان بين كل قراءة وأخرى ، وهذا يدل على أن الأمر صار معروفاً لدى الصحابة رضى الله عنهم ، فلم يحتاجوا إلى بيان ، ولو خفى عليهم لسألوا رسول الله ﷺ حتى يُبين لهم ، فينبغى البحث لمعرفة ذلك ، وهو الذى حدا العلماء على التعمق فى دراسة أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف رغبة فى ادراك المراد بهذه الأحرف .

الرابع : أن الروايات الواردة فى مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام ، فليس فيها ما يُبين بجلاء نص الآية أو الكلمة التى وقع الاختلاف فى قراءتها ، ولا نوع الخلاف فى تلك القراءات ، أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يُعزى إلى تباين اللهجات فى النطق وطريقة الأداء مع وحدة اللفظ ، أم كان اختلافاً فى اللفظ مع وحدة المعنى ؟

وإذا أنعم الباحث النظر فى تلك الآراء التى وردت فى كتب علوم القرآن ، يجد بعضها غير معزو إلى قائله ، وبعضها الآخر استنباطاً بعيد المأخذ ، ومنها آراء كثيرة ذات مضمون واحد أو متقارب وإن تفاوت التعبير عنها ، مما جعل

ابن سعدان النحوى ^(١) يرى أن الحديث مشكل ، إذ يقول : « معنى قوله ﷺ :
« أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » مشكل لا يُدرى معناه ، لأن العرب تسمى
الكلمة المنظومة حرفاً ، وتسمى القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على الحرف
المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً : المعنى والجهة ، كقوله تعالى :
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(٢) ، أى على جهة من الجهات
ومعنى من المعانى ^(٣) .

لذا فيأنى سأورد ما كان من تلك الآراء ذا بال ، وأشير إلى ما قاربها
من رأى .

الرأى الأول : ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة : سبع
لغات من لغات العرب فى المعنى الواحد ، على معنى أنه حيث تختلف لغات
العرب فى التعبير عن معنى من المعانى يأتى القرآن مُنَزَّلاً بِالْفَافِ عَلَى قَدَرِ هَذِهِ
اللُّغَاتِ لِهَذَا الْمَعْنَى الْوَاحِدِ ، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتى بلفظ واحد
أو أكثر ، فهى أوجه سبعة من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة ، بما يُعرف
بالاشتراك المعنوى ، أو الترادف اللفظى نحو : أَقْبِلْ ، وَهَلَمْ ، وَتَعَالَ ، وَأَسْرِعْ ،
وَعَجَلْ .

(١) محمد بن سعدان الضرير الكوفى النحوى المقرئ أبو جعفر ، أخذ القراءات عن أهل مكة
والمدينة والشام والكوفة والبصرة - ت ٢٣١ هـ (انظر بُغْيَةُ الرَّعَاةِ فى طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِّينَ والنَّحَاةِ
للسيوطى ص ٤٥ ط . دار المعرفة - بيروت) .

(٣) المرشد الوجيز ص ٩٣

(٢) الحج : ١١

وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة ^(١) ، وعبد الله بن وهب ^(٢) ، وابن جرير الطبري ^(٣) ، والطحاوي ^(٤) ، وغيرهم

فالأحرف السبعة أوجه من اللغات فى المعنى الواحد ، بألفاظ مختلفة .

ونسب ابن عبد البر ^(٥) هذا رأى لأكثر العلماء .

قال أبو عمر : وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبى ﷺ : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » سبع لغات ، وقالوا : هذا لا معنى له ، لأنه

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى ، محدث الحرم المكى ، كان حافظاً ثقة واسع العلم ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وقال أحمد : ما رأيت أحداً من الفقهاء أعلم بالقرآن والسُّنن منه - ت ١٩٨ هـ (تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ١١٧ ، ط . دار صادر) ؟

(٢) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى بالولاء المصرى أبو محمد ، فقيه من الأئمة ، من أصحاب مالك ، كان حافظ ثقة مجتهداً عابداً - ت ١٩٧ هـ (تهذيب التهذيب ٦ / ٧١) .

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى أبو جعفر ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، صنّف فى التاريخ والتفسير والحديث والفقه والقراءات - ت ٣١٠ هـ (طبقات المفسرين للداودى ٢ / ١٠٦ ، مكتبة وهبة) .

(٤) أحمد بن محمد بن سلامة المصرى الطحاوى الحنفى ، محدث الديار المصرية وفقهها ، من مصنفاته : اختلاف العلماء ، وأحكام القرآن ، ومعانى الآثار ، وبيان السنّة والجماعة فى العقائد - ت ٣٢١ هـ (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ / ٢٧ ، ط . مؤسسة الرسالة ، وهديّة العارفين للبغدادى ١ / ١٨ ، ط . استانبول) .

(٥) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعمرى أبو عمر القرطبى المالكى ، الحافظ الفقيه العالم بالقراءات والحديث والأنساب والأخبار ، من مؤلفاته : الاستيعاب فى تراجم الصحابة ، وجامع بيان العلم وفضله ، والمدخل فى القراءات ، والتمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد - ت ٤٦٣ هـ (وفيات الأعيان لابن خلكان - بتحقيق د . إحسان عباس ٧ / ٦٦ ، ط . دار الثقافة) .

لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الأمر ، لأنه مَنْ كانت لغته شيئاً قد جُبِلَ وطَبِعَ عليه وقُطِرَ به لم يُنكر عليه ، وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشى مكى ، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته ، كما محال أن يُقرئ رسول الله ﷺ واحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته ، والأحاديث الصِّحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا ، وقالوا : إنما معنى السبعة الأحرف سبعة أوجه من المعانى المتفقة المتقاربة بالفاظ مختلفة ، نحو : أَقِيل ، وَتَعَالَ ، وَهَلَمْ ، وعلى هذا أكثر أهل العلم » (١) ثم ذكر الأحاديث فى ذلك .

الرأى الثانى : وقال قوم : إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن ، على معنى أنه فى جملته لا يخرج فى كلماته عن سبع لغات هى أفصح لغاتهم ، فأكثره بلغة قریش ، ومنه ما هو بلغة هذيل ، أو ثقيف ، أو هوازن ، أو كنانة ، أو تميم ، أو اليمن ، فهو يشتمل فى مجموعته على اللغات السبع .

وهذا الرأى يختلف عن سابقه ، لأنه يعنى أن الأحرف السبعة إنما هى أحرف سبعة متفرقة فى سور القرآن ، لا أنها لغات مختلفة فى كلمة واحدة مع اتفاق المعانى .

(١) المرشد الوجيز - ص ١٠٢ ، ١٠٣ - وقد نقل هذا أبو شامة من كتاب ابن عبد البر

« التمهيد » .

والى هذا ذهب أبو عبيد (١) وثعلب (٢) والزهرى (٣) وآخرون ، واختاره ابن عطية (٤) وصححه البيهقى فى الشعب .

قال أبو عبيد فى كتاب « غريب الحديث » : « قوله : سبعة أحرف يعنى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه أن يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ، هذا لم نسمع به قط ، ولكن نقول : هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل بلغة هوازن ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها فى هذا كله واحدة » (٥) .

وقال فى كتاب « فضائل القرآن » : « وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يُقرأ على سبعة أوجه ، هذا شئ غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة فى جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة ، والثانى بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى سبعة ، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض ، وذلك يبين فى أحاديث ترى » .

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروى الخراسانى البغدادى ، من كبار العلماء بالقراءات والحديث والفقه والعربية والأخبار (ت ٢٢٤ هـ) من مصنفاته : الأموال ، وغريب الحديث ، فضائل القرآن (وفیات الأعيان ، لابن خلكان - تحقيق إحسان عباس ٤ / ٦٠ - دار الثقافة - بيروت) .

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس النحوى الشيبانى بالولاء المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة (ت ٢٩١ هـ) ، من تصانيفه : مجالس ثعلب ، ومعانى القرآن ، وإعراب القرآن (انباء الرواة على انباء النحاة للقفطى - تحقيق محمد أبو الفضل ، ط . دار الفكر ومؤسسة الثقافة) .

(٣) محمد بن مسلم الزهرى من بنى زهرة من قريش أول من دون الحديث ، تابعى من أهل المدينة - ت ١٢٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ٤٤٥) .

(٤) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى ، من أهل غرناطة ، مفسر فقيه ، من كتبه : المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - ت ٥٤٢ هـ ، (بغية الوعاة للسيوطى ص ٢٩٥) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩١ - والإتقان ١ / ٤٧

وقال ابن عطية : معنى قول النبي ﷺ : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » :
 أى فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة
 بعبارة قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأنصع والأوجز فى
 اللفظ ، ألا ترى أن « فَطَرَ » معناه عند غير قريش ابتداء . فجاءت فى القرآن
 فلم تتجه لابن عباس ، حتى اختصم إليه أعرابيان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا
 فطرتها ، قال ابن عباس : ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى : ﴿ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (١) ، وقال أيضاً : ما كنت أدري معنى قوله تعالى :
 ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ (٢) حتى سمعتُ ينت ذى يزن تقول
 لزوجها : تعال أفاتحك ، أى أحاكمك ، وكذلك قال عمر بن الخطاب ، وكان
 لا يفهم معنى قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ (٣) : أى على
 تنقص لهم ، وكذلك اتفق لقطبة بن مالك ، إذ سمع النبي ﷺ يقرأ فى
 الصلاة : ﴿ وَالنُّحُلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ (٤) ذكره مسلم فى باب القراءة فى صلاة
 الفجر ، إلى غير ذلك من الأمثلة (٥) .

ووردت روايات محتملة للرأين السابقين : الأول والثانى لما فيها من إجمال .
 فعن على بن أبى طالب (٦) ، وابن عباس (٧) ، رضى الله عنهما قالوا : نزل
 القرآن بلغة كل حى من أحياء العرب .

(٢) الأعراف : ٨٩

(١) فاطر : ١

(٤) سورة ق : ١٠

(٣) النحل : ٤٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٤ - ٤٥ ، والفقرة الأخيرة تشير الى ما رواه مسلم عن قطبة
 ابن مالك قال : صلبتُ وصلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ ق ، وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴾ ، حتى قرأ :
 ﴿ وَالنُّحُلَ بَاسِقَاتٍ ﴾ ، قال : فجعلت أرددها ولا أدري ما قال ، والباسقات : الطوال ، والباسق :
 الذهاب طويلاً من جهة الارتفاع ، ولم يكن هذا فى لغة قبيلة قطبة بن مالك .

(٦) على بن أبى طالب بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ ، ولقد قبل البعثة
 بعشر سنين على الصحيح ، وترى فى حجر رسول الله ﷺ ، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك ،
 وهو أحد رجال الشورى الذين نص عليهم عمر ، ورابع الخلفاء الراشدين ، قُتِلَ غيلة فى رمضان سنة
 أربعين من الهجرة (الإصابة ٢ / ٥٠) .

(٧) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، ولقد قبل الهجرة بثلاث ، وقبل
 بخمس ، استجاب الله دعوة رسوله فيه : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فى الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ » ، مات بالطائف
 سنة ثمان وستين (الإصابة ٢ / ٣٢٢) .

وفى رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يُقرئ الناس بلغة واحدة ، فاشتد ذلك عليهم ، فنزل جبريل فقال : « يا محمد : أقرئ كل قوم بلغتهم » (١) .

فهذا يفيد نزول القرآن باللغات المعروفة عند العرب ، ولا يتبين من ذلك ما إذا كان المراد نزول القرآن بهذه اللغات فى المعنى الواحد حيث يكون هناك اختلاف فى اللفظ - وهو الرأى الأول - أو كان المراد نزول القرآن فى مجموعه بهذه اللغات ، فلا تخرج كلماته عنها - وهو الرأى الثانى .

وقد علق ابن حجر (٢) فى « الفتح » على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف تعليقاً مجملاً فقال : « وهذه الأحاديث تُقَوِّى أن المراد بالأحرف اللغات ، أو القراءات ، أى أنزل القرآن على سبع لغات أو قراءات ، والأحرف جمع حرف ، مثل : فلس وأفلس ، فعلى الأول يكون المعنى على سبعة أوجه من اللغات ، لأن أحد معانى الحرف فى اللغة الوجه ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ (٣) . وعلى الثانى يكون المراد من إطلاق الحرف على الكلمة مجازاً لكونه بعضها (٤) .

ولعل الحافظ ابن حجر فى هذا يشير إلى الرأىين السابقين ، ويُعبّر عن الرأى الأول بقوله : « سبعة أوجه من اللغات » كأنه يعنى اتفاقها فى المعنى وإن اختلفت الألفاظ ، ويُعبّر عن الرأى الثانى بالقراءات ، باعتبارها كلمات متفرقة

(١) المرشد الوجيز ص ٩٦ - ٩٧

(٢) أحمد بن على بن محمد الكتانى العسقلانى أبو الفضل شهاب الدين بن حجر ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، له تصانيف كثيرة فى التراجم وعلوم الحديث وشرحه ، ولا سيما فتح البارى فى شرح صحيح البخارى - ت ٨٥٢ هـ (الأعلام ١ / ١٧٣) .

(٣) الحج : ١١

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٩ / ٢٤ ، المطبعة السلفية ومكنتها .

من لغات سبع ، فيكون إطلاق الحرف على كل كلمة منها على سبيل المجاز ،
من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

* * *

● تحديد اللُّغات السبع :

واختلف أصحاب هذين الرأيين فى تحديد اللُّغات السبع :

(أ) فقال أبو حاتم السجستاني ^(١) : نزل القرآن بلغة قريش ، وهذيل ،
وتميم ، وأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر .

قال أبو على الأهوازي ^(٢) : سمعت أبا عبد الله محمد بن المعلى الأزدي ^(٣)
بالبصرة يقول : سمعت أبا بكر محمد بن دريد الأزدي ^(٤) يقول : سمعت أبا حاتم
سهل بن محمد السجستاني يقول : معنى سبعة أحرف : سبع لغات من لغات
العرب ، وذلك أن القرآن نزل بلغة قريش ، وهذيل ، وتميم ، وأزد ، وربيعة ،
وهوازن ، وسعد بن بكر ^(٥) .

(١) سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ، إمام البصرة فى النحو والقراءات واللغة والعروض ،
له ثلاثون كتاباً ونيف ، منها : المختصر فى النحو على مذهب الأخفش وسيبويه ، والأضداد ، توفى
سنة ٢٤٨ هـ ، وقيل : ٢٥٠ هـ (انباه الرواه للقفطى ٢ / ٥٨) .

(٢) الحسن بن على بن إبراهيم بن يزداد ، مقرئ الشام فى عصره - ت ٤٤٦ هـ (ميزان
الاعتدال للذهبي ، تحقيق على البجاوى ١ / ٥١٢ ، ط . دار المعرفة - بيروت) .

(٣) محمد بن المعلى بن عبد الله الأسدي ، أبو عبد الله الأزدي النحوى اللغوى ، كان حياً قبل
سنة ٣١٥ هـ (بغية الوعاة ص ١٠٦ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١٢ / ٤٢ ط . دمشق) .

(٤) محمد بن الحسن بن دريد ، أبو بكر الأزدي اللغوى الشافعى ، يقال له : أشعر العلماء ،
وأعلم الشعراء ، (ت ٣٢١ هـ) ، من تصانيفه : كتاب الجمهرة فى اللغة ، وكتاب الاشتقاق ،
وكتاب غريب القرآن (انباه الرواة ٣ / ٩٢ ، وبغية الوعاة ص ٣) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩٣ ، ٩٤

واستنكر هذا القول ابن قتيبة ^(١) ، فيما نقله عنه ابنه ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ^(٢) : ما لم تكن هذه اللغات السبع فى بطون قريش .

قال أبو على الأهوازي : سمعتُ أبا الحسن على بن إسماعيل بن الحسن القطان ^(٣) ، يقول : سمعتُ أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم ^(٤) يقول : سمعتُ أبا يقول : عن أبى حاتم السجستاني - وهذا القول عظيم من قائله ، لأنه غير جائز أن يكون فى القرآن لغة تخالف لغة قريش ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ إلا أن يكون القائل لهذا أراد ما وافق من هذه اللغات لغة قريش ^(٥) .

ويؤيد هذا الاعتراض ما جاء فى حديث جمع القرآن الكريم فى عهد عثمان رضى الله عنه ، حين ندب لهذا الأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال للرهبط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ^(٦) .

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمد ، من أئمة الأدب ، ومن المصنفين المكثرين ، من كتبه : تأويل مختلف الحديث ، وأدب الكاتب ، وتأويل مشكل القرآن - ت ٢٧٦ هـ (وفیات الأئمة ١ / ٣١٤) .

(٢) إبراهيم : ٤

(٣) على بن إسماعيل بن الحسن بن إسحاق ، أبو الحسن البصرى القطان ، المعروف بالخشاع ، توفى سنة ٣٩ هـ (غاية النهاية فى طبقات القراء ، لابن الجزرى ١ / ٥٢٦ ط . القاهرة) .

(٤) أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، قاض فقيه ، كان يحفظ كتب أبيه ، توفى بـ ٣٢٢ هـ (الأعلام ١ / ١٤٩) .

(٥) المرشد الوجيز ص ٩٤ (٦) من حديث رواه البخارى .

كما يؤيد هذا الاعتراض كذلك ما رُوِيَ من إنكار عمر رضى الله عنه على ابن مسعود قراءته : « عتي حين » أى : ﴿ حَتَّىٰ حِينَ ﴾ ^(١) ، وكتب إليه : إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، أخرجه ابن عبد البر من طريق أبى داود ^(٢) بسنده ، وذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة ^(٣) .

وفى سُنَنِ أبى داود أن عمر كتب إلى ابن مسعود : أما بعد .. فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ، فإذا أتاك كتابى هذا فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل ، قال ابن عبد البر أبو عمر : ويحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار ، لا أن الذى قرأ به ابن مسعود لا يجوز ، قال : وإذا أُبِيح لنا قراءته على كل ما أنزل فجائز الاختيار فيما أنزل عندى ، والله أعلم ^(٤) .

(ب) وقيل : نزل القرآن بلغة مُضَرَّ خاصة ، وقال أصحاب هذا رأى : هذه اللغات كلها السبع ، إنما تكون فى مُضَرَّ ، واحتجوا بقول عثمان رضى الله عنه : نزل القرآن بلسان مُضَرَّ ، ورُوِيَ نحوه عن عمر ، وعينوا اللغات السبع من مضر فقالوا : جائز أن يكون منها لقريش ، ومنها لكثانة ، ومنها لأسد ، ومنها لهذيل ، ومنها لتميم ، ومنها لضبة ^(٥) . ومنها لقيس ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب ^(٦) .

(١) المزمعون : ٢٥ ، ٥٤

(٢) سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو ، وقيل : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود السجستاني ، الحافظ ، صاحب السُنَنِ ، إمام أهل الحديث فى زمانه - ت ٢٧٥ هـ تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩) .

(٤) المرشد الوجيز ص ١٠١

(٣) فتح البارى ٩ / ٢٧

(٥) هو ضبه بن أد عم قيم بن مر ، وفى بعض الروايات : تيم الرباب - والرباب : أحياء ضبة .

(٦) المرشد الوجيز ص ١٠١

ويرد على هذا الرأي كذلك ما استنكره ابن قتيبة ، وما ذكرناه آنفاً مما يساند اعتراضه .

كما يرد عليه أن في مُضَرَّ شواذ لا يجوز أن يُقرأ القرآن عليها ، مثل كشكشة قيس ^(١) ، وعننة تميم ^(٢) .

ويُجاب عن ذلك :

بأن معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣) إلا بلغة قومه ، وقومه هم العرب ، فالآية تشمل لغات العرب كلها .

وعن أيوب السخيتاني ^(٤) أنه قال : معنى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ : أراد العرب كلهم .

قال أبو شامة : فعلى هذا القول لا يستقيم اعتراض ابن قتيبة على ذلك التأويل .

والمراد بقول عمر وقول عثمان رضى الله عنهما : أن القرآن نزل بلغة قريش ، أو بلسان مضر ، أن ذلك كان أول نزوله ، ثم كان التيسير بعد ذلك على العرب

(١) الكشكشة : لهجة ، يجعلون الشين مكان الكاف فى خطاب المؤنث ، فيقولون فى « عليك » و « منك » : « عليكش » و « منش » أو يزيدون بعد الكاف المكسورة شيناً ، يقولون فى « عليك » : « عليكش » فكشكشة قيس ، يجعلون كاف المؤنث شيناً ، فيقولون فى : ﴿ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم : ٢٤) : « ريش تحتش » وعننة تميم ، يقولون فى « أن » « عن » فيقرؤون : « فعسى الله » عن « يأتى بالفتح » (المائدة : ٥٢) ، وبعضهم يبدل السين تاء ، فيقول فى « الناس » : « النات » وهذه لغات يُرغَب بالقرآن عنها .

(٢) عننة تميم : إبدالهم العين من الهمزة ويقولون : « عن » موضع « أن » .

(٣) إبراهيم : ٤

(٤) أيوب بن أبى قيمة كيسان السخيتاني ، أبو بكر البصرى ، من صفار التابعين ، توفى سنة ١٣١ هـ (تهذيب التهذيب ١ / ٣٩٧) .

فجاز لهم أن يقرؤه بلغاتهم ، أما غير العربى فالأولى له أن يقرأه بلغة قريش لأفضليتها .

قال أبو شامة : « أشار عثمان رضى الله عنه إلى أول نزوله ، ثم إن الله تعالى سهله على الناس ، فجوّز لهم أن يقرعوه على لغاتهم على ما سبق تقريره ، لأن الكل لغات العرب ، فلم يخرج عن كونه بلسان عربى مبين .

وأما من أراد من غير العرب حفظه فالمختار له أن يقرأه على لسان قريش ، وهذا إن شاء الله تعالى هو الذى كتب فيه عمر إلى ابن مسعود رضى الله عنهما : « أقرئ الناس بلغة قريش » لأن جميع لغات العرب بالنسبة إلى غير العربى مستوية فى التعسر عليه ، فإذا لا بد من واحدة منها ، فلغة النبى ﷺ أولى له ، وإن أقرئ بغيرها من لغات العرب ، فجازز فيما لم يخالف خط المصحف ، وأما العربى المجبول على لغة فلا يكلف لغة قريش لتعسرها عليه ، وقد أباح الله تعالى القراءة على لغته ، والله أعلم » (١) .

(ج) وقيل : اللغات السبع ، خمس منها فى هوازن : لسعيد ، وثقيف ، وكنانة ، وهذيل ، وقريش - أو ثقيف ، وبنى سعد بن بكر ، وبنى نصر بن معاوية ، وبنى جشم ، ولغتان على جميع ألسنة العرب ، وتخصيص لغات هوازن لقريش وجوارهم من منزل الوحي .

قال الأهوازى : وقال بعضهم : خمس منها بلغة هوازن ، وحرقان لسائر لغات العرب ، وقد كان رسول الله ﷺ رضى فى هوازن ، ونشأ فى هذيل .

وقال أبو القاسم الهذلى (٢) فى كتابه « الكامل » نقلاً عن أبى عبيد : وقيل : خمس لغات فى أكناف هوازن ، لسعيد ، وثقيف ، وكنانة ، وهذيل ، وقريش .

(١) المرشد الوجيز ص ١٠٢ .

(٢) يوسف بن على بنت جبارة البكرى أبو القاسم الهذلى ، مقرئ نحوى ، عالم بالقراءات والعربية ، كان ضرير البصر ، له تصانيف فى القراءات وغيرها ، منها « الكامل » فى القراءات ، توفى سنة ٤٦٥ هـ (غاية النهاية ٢ / ٣٩٧) .

قال ابن عبد البر : وقد روى الأعمش ^(١) ، عن أبي صالح ^(٢) ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، صار في عجز هوازن منها خمسة .

قال أبو حاتم : عجز هوازن : ثقيف ، وبنو سعد بن بكر ، وبنو جشم ، وبنو نصر بن معاوية ، قال أبو حاتم : خص هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب لقرب جوارهم من مولد النبي ﷺ ، ومنزل الوحي ، وإنما مضر وربيعه أخوان ، قال : وأحب الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش ، ثم أدناهم من بطون مضر .

وروى الكلبي ^(٣) ، عن أبي صالح عن ابن عباس قال : « القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن » .

قال أبو عبيد : والعجز هم : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهذه القبائل هي التي يقال لها : عليا هوازن ، وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء ^(٤) : أفصح العرب عليا هوازن ، وسفلى تميم ، فهذه عليا هوازن ، وأما سفلى تميم فيبنو دارم ، فهذه سبع قبائل ^(٥) .

(١) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الكوفي الملقب بالأعمش ، تابعي مشهور ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض - ت ١٤٨ هـ (تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٢) .

(٢) بإذان أبو صالح ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، قال ابن معين : ليس به بأس ، وإذا روى عنه الكلبي فليس بشئ . (تهذيب التهذيب ١ / ٤١٦) .

(٣) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي أبو النظر الكوفي ، عالم بالتفسير وأنساب العرب ، كان يكذب في رواية الحديث ، وحكى الإجماع على ترك حديثه - ت ١٤٦ هـ (تهذيب التهذيب ٩ / ١٧٨) .

(٤) زياد بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله التميمي المازني أبو عمرو البصري ، أحد القراء السبعة ، توفي سنة ١٥٤ هـ (غاية النهاية ١ / ٢٨٨ ، ونُغية الوعاة ص ٣٦٧) .

(٥) انظر المرشد الوجيز ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

(د) وقيل : إن اللغات السبع ترجع إلى كعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة لتجاورهما في المنزل .

قال أبو عبيد : وكذلك يُحدِّثون عن سعيد بن أبي عروبة ^(١) ، عن قتادة ^(٢) ، عن سمع ابن عباس يقول : أنزل القرآن بلغة الكعبين : كعب بن قريش ، وكعب ابن خزاعة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة .

قال أبو عبيد : يعنى أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وقال أبو شامة : والكعبان : كعب بن لؤى من قريش ، وكعب بن عمرو من خزاعة .

* * *

● وجه تخصيص لغات تلك القبائل :

وقد أوضح ابن عطية وجه تخصيص لغات تلك القبائل فقال : « فأصل ذلك وقاعدته قريش ، ثم بنو سعد بن بكر ، لأن النبي عليه السلام قرشى ، واسترضع فى بنى سعد ، ونشأ فيهم ، ثم ترعرع وعققت قمامته وهو يخالط فى اللسان كنانه ، وهذيلاً ، وثقيفاً ، وخزاعة ، وأسدأ ، وضبة ، وألفافها لقريش من مكة ، وتكرارهم عليها ، ثم بعد هذه تميم ، وقيساً ، ومن انضاف إليهم وسط جزيرة العرب ، فلما بعثه الله تعالى وسرَّ عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة ، وهى التى قسمها على سبعة لها السبعة الأحرف ، وهى اختلافاتها فى العبارات حسبما تقدم .. وهذه الجملة هى التى انتهت إليها

(١) سعيد بن أبي عروبة العدوى ، أبو النظر البصرى ، إمام أهل البصرة فى زمانه ، تغبَّر مذهبه بآخر عمره ، ورُميَ بالقدر - له مؤلفات ، توفى سنة ١٥٦ هـ على خلاف (تهذيب التهذيب ٦٣ / ٤ ، ميزان الاعتدال ١ / ٣٨٧) .

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسى ، البصرى الضرير الأكمه ، حافظ مفسر عالم بالعربية - ت ١١٨ هـ (غاية النهاية ٢ / ٢٥ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥١) .